أثر العامل الإقليمي في العلاقات العربية – الكردية

ا.د.ابراهيم خليل العلاف

مدير مركز الدراسات الإقليمية – جامعة الموصل

مستخلص البحث

إن تاريخ الشرق الأوسط والعراق في قلبه ما هو إلا تاريخ الصراع بين الشرق والغرب. إن العراق بشكل خاص كان وسيظل ساحة للصراع.. كان ساحة للصراع بين البيزنطيين والساسانيين وبين العثمانيين والصفويين وظل الناس في العراق وقودا لتلك الصراعات، وللأسف لم تكن لهم فيها ناقة ولأجمل. لقد استنزفت تلك الصراعات إمكانات العراق الاقتصادية والاجتماعية والفكرية وانعكس ذلك سلبا على الناس. ولسنا –في هذه الدراسة – بصدد الدخول في متاهات أيام الصراع تلك وملابساتها وانعكاساتها ولكن لابد من تقرير حقيقة ثابتة وهي أن تلك الصراعات وما كان ينجم عنها من تدخلات كانت تزداد عندما يكون العراق ضعيفا وتقل عندما يقوى العراق. نحن لا ننكر في أن يكون لتركيا نفوذ في العراق ولا لإيران ولا للعرب ولكن لابد أن تؤخذ سيادة العراق ووحدة العراق بنظر الاعتبار.لإيران أجندات ومصالح وامتدادات بشرية وثقافية وأمنية في العراق ولتركيا كذلك وللعرب وعلى العراقيين أن يعوا هذه الحقائق على أن يظهروا موحدين وأقوياء وقادرين على المحافظة على بلدهم.

المقدمة

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

بقدر ما يتعلق الأمر بالعراق، والعامل الإقليمي المؤثر في العلاقات العربية – الكردية، فأن ثمةَ مثل شعبي موروث منذ القدم،وبيتُ شعر قيل مؤخرا يمثلان حقيقة هذا العامل المهم.

فالمثل الشعبي العراقي الموروث يقول: "بين العجم والروم بلوا ابتلينا". أما بيت الشعر فقد قيل على لسان أحد أعضاء مجلس الحكم الذي تأسس بعد الاحتلال وسقوط النظام السابق في التاسع من نيسان سنة ٢٠٠٣ مفاده:

كُنا لهم حطبا في كل نازلةً
وكانوا لنا حمالةَ الحطب

ومن الطبيعي أن الشاعر يقصد العرب والدول العربية والتي قدم لها العراق الكثير لكنها لم تقف مع العراق عند المحنة بل بالعكس قست عليه وأرادت له ولشعبه التهلكة!.

إذا المثل الشعبي الموروث وبيت الشعر الجديد هما من يدلان على أن العراق يواجه في كل مراحل تاريخه القديم والوسيط والحديث والمعاصر ثلاثة عوامل مؤثرة تأثيرا خطيرا في مستقبله هي العامل العربي والعامل التركي والعامل الإيراني.

ومما يدعم ما نقول أننا قرأنا للمؤرخ البريطاني الكبير ارنولد توينبي (توفي ١٩٧٨) ما يؤكد الحقيقة التي اشرنا إليها، وهي أن تاريخ الشرق الأوسط والعراق في قلبه ما هو إلا تاريخ الصراع بين الشرق والغرب. إن العراق بشكل خاص كان وسيظل ساحة للصراع..كان ساحة للصراع بين البيزنطيين والساسانيين وبين العثمانيين والصفويين وظل الناس في العراق وقودا لتلك الصراعات، وللأسف لم تكن لهم فيها ناقة ولا جمل. لقد استنزفت تلك الصراعات إمكانات العراق الاقتصادية والاجتماعية والفكرية وانعكس ذلك سلبا على الناس.

لسنا بصدد الدخول في متاهات أيام الصراع تلك وملابساتها وانعكاساتها ولكن لابد من تقرير حقيقة ثابتة وهي أن تلك الصراعات وما

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

كان ينجم عنها من تدخلات كانت تزداد عندما يكون العراق ضعيفا وتقل عندما يقوى العراق.

نحن لاننكر في أن يكون لتركيا نفوذ في العراق ولا لإيران ولا للعرب ولكن لابد أن تؤخذ سيادة العراق ووحدة العراق بنظر الاعتبار.لإيران اجندات ومصالح وامتدادات بشرية وثقافية وأمنية في العراق ولتركيا كذلك وللعرب وعلى العراقيين أن يعوا هذه الحقائق على أن يظهروا موحدين وأقوياء وقادرين على المحافظة على بلدهم.

لاننكر بأن إيران ومن قبلها الدولة الفارسية استغلت الحركات المسلحة الكردية ضد العثمانيين وضد سلطات الاحتلال والانتداب البريطانيين وضد الحكومة العراقية بعد سنة ١٩٢١.

كما لاننكر التدخلات التركية بعد الحرب العالمية الأولى والمطالبة بولاية الموصل وكما تعرفون فأن الأمر حسم بصيرورة الموصل جزءا من العراق وتوقيع اتفاقية ١٩٢٦ والاعتراف بخط بروكسل حدا فاصلا بين العراق وتركيا.

كما لاننكر بأن ايران كثيرا ما تتدخل في العراق بحجة حماية العتبات المقدسة والمحافظة عليها وتطويرها.

وكذلك لاننكر التدخلات العربية، فللعرب امتدادات ومصالح يحرصون على المحافظة عليها وحقائق التاريخ وثوابت الجغرافية تدعم دائما وجهة نظرهم وتوجهات سياساتهم ازاء العراق.

المدارس الإيرانية، والمدارس التركية وحتى المدارس البريطانية والأميركية على سبيل المثال كانتا تعدان منافذ لنشر الرؤية الإيرانية والرؤية التركية والرؤية الأميركية والرؤية البريطانية في العراق سواء تجاه الأوضاع القائمة أو ماضي وحاضر ومستقبل العراق... لكن مما ينبغي أن نؤكده أن الحكومات العراقية – وخاصة عندما كانت تشعر بقوتها– لم تكن لتسمح بأن تتجاوز تلك المدارس اختصاصاتها وكانت تلزمها بتدريس التاريخ

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

العراقي والجغرافية العراقية واللغة العربية شأنها في ذلك شأن المدارس الرسمية وقد وصل الأمر في سنة ١٩٦٩ الى تعريقها.

ومما انتبه إليه نوري السعيد رئيس الوزراء العراقي المزمن والذي حكم العراق سرا وعلانية طيلة ٤٠ سنة (١٩٢١-١٩٥٨).. أن العراق لكي يظل قويا فلابد أن تكون علاقاته قوية مع إيران وتركيا، وان يتحالف معهما ومع الغرب ضمن "منظومة سياسية وأمنية وعسكرية " فكان "حلف بغداد" ١٩٥٥ ومن قبله المعاهدات مع إيران وتركيا ومع الدول العربية كالسعودية مثلا ومع بريطانيا والولايات المتحدة الأميركية في العشرينات والثلاثينات والاربعينات من القرن الماضي. وقد نقل نوري السعيد هذه الرغبة للرئيس جمال عبدالناصر والذي كان يقود تيارا قوميا عربيا مستقلا جارفا من خلال الصاغ صلاح سالم قائلا: "إن ظروف العراق ليست كظروف مصر" أي إن موقع العراق الاستراتيجي وثراه الاقتصادي والنفطي والبشري كان يختلف عن موقع مصر ووضعها.

ومن حسن الحظ أن يكون الرئيس جمال عبدالناصر وهو يقود التيار القومي العربي في الخمسينات والستينات من القرن الماضي كان أول القادة العرب إدراكاً لحقيقة المطالب القومية الكردية في العراق خاصة، فمواقف الرئيس عبدالناصر من قضية الأكراد وحقوقهم معروفة وقد كتبتُ عنها دراسة موسعة بعنوان : "عبد الناصر والأكراد" منشورة على النت. كان عبدالناصر يقول انه طالما اعتز العربي بقوميته فلابد له أن يسمح للآخرين أن يعتزوا بقومياتهم.

إن مما تنبغي الإشارة إليه أن القضية الكردية أو المسألة الكردية لاتزال تعد من أكثر القضايا أو المسائل تعقيدا في الشرق الأوسط بسبب مواقف الدول الإقليمية منها اولا، وبسبب التداخلات الأجنبية ثانيا، وعدم قدرة الأكراد أنفسهم على تجسيد قضيتهم بالشكل المطلوب وخاصة بعد الحرب العالمية الأولى ثالثا، وبسبب السياسات (القومية) التركية والإيرانية

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

تجاه الموضوع الكردي رابعا. مع ملاحظة أن ثمة فرصة سانحة لتحقيق تقدم حقيقي بشأن المسألة الكردية في تركيا هذه السنة. ويتمثل هذا التقدم في إصدار حكومة حزب العدالة والتنمية دستورا جديدا من شأنه أن يتعامل مع مثل هذه المواضيع الكبيرة المتمثلة بالهوية واللغة والتاريخ والثقافة الكردية بشكل ايجابي. كما إن تركيا بعد سنوات من العزلة، بدأت تغير أساليبها وتطور علاقاتها التجارية والثقافية وحتى السياسية مع إقليم كردستان العراقي بشكل لم يكن متاحا من قبل. ويترافق مع هذا كله انفتاح قيادة الإقليم على الدول العربية والبحث عن قواسم اقتصادية وثقافية مشتركة بين الطرفين.

وبدون الدخول في تفاصيل المواقف العراقية والإيرانية والتركية من الأكراد، فأن العراق ومنذ بواكير تأسيس دولته الحديثة في سنة ١٩٢١ كان من أولى الدول التي شرعت الكثير من القوانين التي اعترفت بالحقوق القومية واللغوية والثقافية للأكراد والتي توجت بإصدار بيان ١١ آذار ١٩٧٠ وقانون الحكم الذاتي في ١٩٧٤ في حين لازالت القضية الكردية في إيران وفي تركيا على حالها ولم يحدث أي تغيير جوهري والشيء الملفت للانتباه إن إيران وتركيا تعالجان مشاكلهما مع الأكراد في إطار من التعاون الأمني والعسكري والسياسي وعبر سلسلة من الاتفاقات الخاصة بضبط الحدود ومطاردة من يقومون بالأعمال العسكرية واعتبار الفصائل الكردية المسلحة التركية والإيرانية جماعات إرهابية. وفي تسعينات القرن العشرين وكما هو معروف وقعت إيران وتركيا عددا من الاتفاقات الأمنية انطلاقا من رفضهما منح الأكراد حكما ذاتيا وحرصهما على التعاون في مواجهة الحركة الكردية فيهما خاصة بعد أن شهدت كردستان العراق حالة جديدة من الاستقلال الذاتي اثر قرار الحكومة المركزية في بغداد الانسحاب. وإذا كانت تركيا تنسق مع الحكومة العراقية وفق اتفاقات وترتيبات أمنية منذ توقيع ميثاق سعد اباد سنة ١٩٣٧ وحلف بغداد سنة ١٩٥٥ واتفاقية المطاردة الحثيثة سنة

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

١٩٨٤، فأن إيران لم تدخل أبدا في اتفاقات أمنية مع العراق بسبب الخلافات المزمنة والتوترات المستمرة والحرب الطويلة ١٩٨٠-١٩٨٨. وهنا تظهر الحاجة الى إقامة المنظومة الأمنية والسياسية والاقتصادية والثقافية بين العراق وإيران وتركيا وبالتأكيد فان هذا لن يتحقق إلا إذا اقتنعت الدولتان.

وهكذا فالحل كامن في الداخل.. اقصد في داخلنا ومتى ما عملنا من اجل الوطن مخلصين، ونظيفين ومتى جعل سياسيونا العراق في حدقات عيونهم، وبشكل يجعلهم يبتعدون عن منافع الدنيا الزائلة، ومتى ما تصرفوا كرجال دولة STATESMEN وليسوا كسياسيين مغامرين فأن كل المشاكل في طريقها للحل.

لقد أكد الأكرادعلى لسان أر فع مسؤوليهم، وفي أكثر من مرة، وعلى أكثر من صعيد، تشبثهم بوحدة العراق، وبقوة العراق، وبرفاهية أهل العراق، وبدور العراق العربي والإقليمي والدولي الفاعل. وعلى هذه الأسس، يمكن أن نبني العلاقة المستقبلية بين العرب والأكراد حتى في ظل الصراعات المحلية والإقليمية وحتى الدولية الراهنة. يقول مورتون ارامونش وجيسيكا سيمس من مركز دراسات المصالح الحيوية The National Center Interest.

في دراسة لهما بعنوان "حل اللغز الكردي" نشرتها وكالة اور في ١٩ ايار – مايس ٢٠١٢: "وتبقى أنقرة مرة أخرى حاسمة: إذا استطاعت تركيا تقوية ديمقراطيتها النامية من خلال تحقيق التقدم مع أكرادها، فإنها سوف تقيم أسسا لإقليم أفضل، يشمل سوريا... والعراق...، ويجب أن تدعم واشنطن تركيا في هذا التوجه بشتى الوسائل...". وهنا يمكن أن نضيف الى ذلك إيران فعلى إيران أن تحل مشاكلها مع أكرادها بالطرق السلمية وعندئذ يمكن أن نرى "شرق أوسط موحد" يمضي قدما نحو القرن الحادي والعشرين بثقة وأمان واستقرار ورفاهية.

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

لكن مما ينبغي التأكيد عليه ونحن نصل الى خاتمة هذه الكلمة هو أن المشاكل لا يمكن أن تحل إلا داخل عائلتنا العربية والإقليمية وكثيرا مما تعرضنا له ونتعرض هو بسبب "التدخل الخارجي" اولا و" ضعفنا " في إيجاد الحلول لمشاكلنا الداخلية ورحم الله الشاعر الكبير نزار قباني عندما قال في قصيدته الشهيرة سنة ١٩٦٧ "هوامش على دفتر النكسة": ما دخل اليهود من حدودنا بل نفذوا من عيوبنا. إن استطعنا أن نسد عيوبنا، وان نتماسك ونحل مشاكلنا داخل بيوتنا فلا أحد يستطيع أن يتدخل في شؤوننا. تلك هي المشكلة وذلك هو الحل فهل نحن مدركون؟ وهل نحن فاعلون؟.

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com